بحرارة شديدة ويشفيها بالحركات الليتورجيَّة الدالَّة مع بعض الافراط على اتّقاد عبادته

خلاصة القول ان الاب فون لم يكن فقط رجلًا عظيماً قديراً في اعين الناس بل راهباً قديساً في عين ربّ الناس. وان كانت العظمة الاولى تضمن له الخلود في صفحات التاريخ فان الثانية قد استحقَّت له اكليلًا لا يذوي الى الابد في ملكوت السماوات

# شعراء النصرانية بعد الاسلام

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

## ١١ حُجَيَّة بن المُضرِّب الكندي

هكذا كتب اسمهُ صاحب الاغاني (٤ ١١٧—١١٨ و٢١ : ١٤) وضبطهُ بتقديم الجيم المضمومة على الحاء المفتوحة. وفي الاشتقاق لابن دريد (ص ٢٢٢) كُتب حُجَيَّة بتقديم الحاء على الجيم ومثلهُ في حماسة ابي تمَّام (ص٥٢٢) وفي نوادر ابي زيد (ص٥٣ و٧٧). وكذلك رووا «المضرَّب» بفتح الراء المشدَّدة. كان حُجَيَّة من اهل اليمن من بني تنيرة من حيّ السكون من كندة جاهليًّا ادرك الاسلام. وكان يدين بالنصرانيَّة كما شهد عليهِ صاحب الاغاني (٢١ : ١٥). وقد روى لهُ هناك اخباراً قليلة يؤخذ منها انهُ عاش الى ايام عمر بن الخطَّاب. ويؤخذ منها ايضاً ومن نوادر ابي زيد (ص ٥٣) انهُ كان لحُجَيَّة اخوان مَعْدان ومنذر وكانت امرأتهُ زينب من بنات عمهِ لهُ ولد منها يدعى حَوْطاً. وقال التبريزي في الحماسة (ص ٦٨) : «ويكنى ابا حوط وهو شاعرٌ جاهلي وفارس مقدام حليف في بني ابي ربيعة بن ذُهل بن شيبان»

وقد افتتح ابو الفرج الاصبهاني اخبار حجيَّة بقصَّة القاسم بن محمَّد بن ابي بكر

واخته وكيف احتملها عنها عبد الرحمان بن ابي بكر من مصر لما قتل اباهما معاوية بن حُدَيج الكندي وعمرو بن العاص (قال) : وقدم بهما الى المدينة فبعثت اليهما عائشة (زوج رسول المسلمين) وعُنيت بتربيتهما . ولما شبَّا ردَّتهما الى عبد الرحمان بقولها : « ها هما هذان فضُمَّهما اليك وكن لهما كجَحْيَة اخي كندة » .

فاستطرد هنا صاحب الاغاني وذكر بر جُحيَّة ببني اخيه فقال : « انه ( اي جحيَّة) كان له اخٌ يقال له معدان مات وترك صبيةً صغارًا في حجر اخيه فكان أبرَّ الناس بهم واعطفهم عليهم وكان يؤثرهم على صبيانه فمكث بذلك ما شاء الله . ثمَّ انهُ عرض لهُ سفرٌ لم يجد بُدًّا من الخروج فيه فخرج واوصى بهم امرأتهُ وكانت احدى بنات عمهِ وكان يقال لها زينب فقال : « اصنعي ببني اخي ما كنتُ اصنعُ بهم » . ثمَّ مضى لوجههِ فغاب اشهرًا ثمَّ رجع وقد ساءت حال الصبيان وتغيَّرت فقال لامرأتهِ : ويلكِ ما لبني مَعْدان مهازيل واوى بنيَّ سِمانًا ؟ قالت كنتُ أواسي بينهم ولكنَّهم كانوا يعبثون ويلعبون . فخلا بالصبيان فقال : كيف كانت زينب لكم . قالوا : سيِّئة . ما كانت تعطينا من القوت الَّا مِلْءَ هذا القدح من اللبن . واروهُ قدحًا صغيرًا فغضب على امرأتهِ غضبًا شديدًا وتركها حتى اذا اراح عليهِ راعياهُ إبلَهُ قال لها : اذهبا فانتما وإبلُكما لبني مَعْدان . فغضبت من ذلك زينب وهجرتهُ وضربت بينهُ وبينها حجابًا . فقال : والله لا تذوقين منها صَبُوحًا ولا غَبوقًا ابدًا . وقال في ذلك من الطويل) :

لِجِبْنا ولَجَّتْ هذهِ في التعصُّبِ ... وأولُ الحجابِ بيننا والتغضُّبِ (١

وخبَّأتِ بفَرْدى إثْمدٍ جَفْنَ عينها ... لِتَقتلني وشدَّ ما حُبُّ زَيْنبِ

تلومُ على مالٍ شفاني مكانُهُ ... فلومي حياتي مابدا لكِ واغضبي (٢

رَحِمتُ بني مَعْدانَ اذ قلَّ مالُهم ... وحُقَّ لهم مني وربِّ المُحَصَّبِ

---

١) ويروى : ولظ . وفي حماسة ابي تمام ( ص ٥٢٢ ) : دوننا والتنقُّبِ . قال الشارح : التغضُّبِ ان يغضب شيئًا بعد شيء . والتنقب شدّ النقاب . واللظ الستر

٢) ويروى : البكِ ولومي . ويروى في نسخة خطية من حماسة ابي تمام في مكتبتنا : فلومي عليهِ

وكان اليَتامى لا يَشُدُّ احتلالُهم ... هَدايا لهم في كلّ قعبٍ مُشَعَّبِ(١
فقلتُ لعبدَينا أريحا عليهمُ ... سأجعلُ بيتي مثلَ آخرَ مُعزِبِ(٢
وقلتُ خذوها واعلموا انّ عمّكم ... هو اليومَ اولى منكمُ بالتكسُّبِ
عيالي أحقُّ ان ينالوا خصاصةً ... وان يشربوا رنقاً لدى كلّ مشرَبِ(٣
ذكرتُ بهم عِظامَ مَنْ لو اتيتُهُ ... حريباً لآساني لدى كلّ مَرْكَبِ(٤
اخي والذي إنْ أدْعُهُ لِلمَّةٍ ... يُجبْني وان اغضَبْ الى السيفِ يَغضَبِ(٥
فلا تحسبيني بُلْدُماً انْ نكحتِهِ ... ولكنّني جُحَيَّةُ بنُ المضرّبِ (٦

فني بنو جُحَيَّة باولاد اخيهِ وتفضيلهم على بنيهِ لمّا يُشعر بفضيلة مسيحيَّة راسخة. وقد روى صاحب لسان العرب (١٩ : ٦٦) حديثاً لعائشة تثني فيهِ على جُحَيَّة وعلى شعرهِ حيث قالت : « تروَّوْا لشعر جُحَيَّة فانهُ يعين على البرّ »

ومما ورد من اخبارهِ في كتاب الاغاني (٢١ : ١٦) انَّ زينب امرأة جحيَّة لمّا بلغها شعر زوجها السابق وما وهبهُ بني معدان كرماً لم ترضَ بفعلهِ الجميل فخرجت حتى اتت المدينة فأسلمت وذلك في ولاية عمر بن الخطاب. فقدم جحيَّة المدينة فطلب زينب ان تُرَدّ عليهِ وكان نصرانيًّا فنزل بالزُّبير بن العوّام فاخبرهُ بقصَّتهِ فقال لهُ : اياك ان يبلغ هذا عنك عُمَر فتلقى منهُ أذًى . وانتشر خبر جُحَيَّة وفشا بالمدينة وعُلم فيما كان مُقدَّمهُ فبلغ ذلك عُمَر فقال للزبير : قد بلغني قصَّة ضيفك وقد هممتُ

---

١) ويروى : رأيتُ اليتامى لا يَشُدُّ فُقورهم قال التبريزيّ : فُقور جمع فقر . والصادر لا يُجمَع الّا انهُ ذهب بهِ مذهب الاسم واعتقدهُ اسمًا . والقَعب القدح من الخشب . والمشعَّب المجبور في مواضع منهُ ٢) ويروى : أريحوا . . بيت آخر . قال الشارح : أريحا اي ردّا الابل رواحًا اليهم . مثل آخر اي مثل بيت آخر . مُعزب بني الذي عزبتَ بهِ اي بعدتَ عنهُ ٣) ويروى : بنيّ احقُّ ان ينالوا سَغابةً . . . الى حين مَكسَب ٤) ويروى : أحاني بما مَنْ لو قصدتُ لمالهِ . . على كلّ مركبِ . ويروى ايضًا : حبوتُ بها قبرَ امرئٍ . قال : الحريب السليب يعني انهُ قضى حقّ اخيهِ الميت في بنيهِ ٥) ويروى : ان ادعهُ لمظلمةٍ ٦) هذا البيت رُوي في حماسة ابي تمّام . (ق) البُلْدُم الثقيل الوخم

به لولا تحرّمُهُ بالنزول عليك فرجع الزبير الى جُحيّة فاعلمهُ قول عُمَر فقال جُحيّة في ذلك (من البسيط) :

انّ الزُّبَيْرَ بنَ عَوّامٍ تَدارَكَني  منهُ بسَيْبٍ كريمٍ سَيْبُهُ عِصَمُ
نفسي فداؤُكَ مأخوذًا بحُجْرتها  اذشاظ لَحمي واذْ زلّت بيَ القَدَمُ (١
اذ لا يقومُ بها الّا فتًى أنِفٌ  عاري الاشاجع في عِرنينهِ شَمَمُ

ثمّ انصرف من عندهِ متوجّهاً الى بلدهِ آنساً من زينب كئيباً حزيناً فقال في ذلك ابياتاً ذكر في الاغاني (٤ : ١١٧—١١٨) فيها صوتاً ليونس (من الطويل) :

تَصابيتَ ام هاجت لكَ الشوقَ زينبُ  وكيف تَصابي المرء والرأسُ اشيَبُ
اذا قَرُبتْ (٢ زادَتْكَ شوقاً بقُربها  وان جانبَتْ (٣لم يُسلِ عنها التجنُّبُ
فلا اليأسُ إنْ أَلْمتَ يبدو فتَرْعوي  ولا انت مردودٌ بما جئتَ (٤تطلبُ
وفي اليأس لو يبدو لكَ اليأسُ راحةٌ  وفي الارض عمّن لا يُؤاتيكَ مذهبُ

(قلنا) انّ في فعل عُمر لعجباً اذ فصل بين جُحيّة وامرأتهِ وتهدّد زوجها بالاذى. وفيه دليل واضح على ما كان من الضغط في اوّل الاسلام على من يأبى الدخول في دينهم. وفي ثناء عائشة لبرّ جحيّة واكرام الزبير لضيفهِ ما هو اجمل بهما

أمّا شعر جُحيّة فقد اخذ اكثرهُ الضياع وانّما وقفنا لهُ على بعض المقاطيع نرويها بحرفها. فمن ذلك مدحهُ لابن العبّاس القرشيّ الهاشميّ (من الطويل) :

اذا ما ابنُ عبّاسٍ بدا لكَ وجهُهُ  رأيتَ لهُ في كلّ احوالهِ فَضْلا
اذا قال لم يَترُكْ مقالًا لقائلٍ  بمُنتَصِحاتٍ لا ترى بينها فَصْلا
كفى وشفى ما في النفوس ولم يَدَعْ  لذي إرْبَةٍ في القول جدًّا ولا هَزْلا

١) ويروى : بحجرتهِ ... واذ ولّتْ  ٢) ويروى : اقربت
٣) ويروى : جنبت  ٤) ويروى : بما انت

وروى له القالي في اماليه (١ : ٥٤) عن ابن الكلبي قوله يمدح يَعْفُر بن زُرْعة احد الأملوك املوك رَدْمان (من الطويل) :

اذا كنتَ سأّالاً عن المجد والعُلى ... واينَ العطاءُ الجزلُ والنائلُ الغَمْرُ
فنقِّبْ عن الأملوك واهتفْ بيَعْفُرٍ(١ ... وعِشْ جارَ ظلٍّ لا يغالبُهُ الدهرُ
اولئك قوم شيَّد اللهُ فخرَهم ... فما فوقَهُ فخرٌ وان عَظُمَ الفخرُ
أناسٌ اذا ما الدهرُ اظلَمَ وجهُهُ ... فأيديهمُ بيضٌ وأوجُهُهم غُرُّ(٢
يصونونَ أحساباً ومجداً موثَّلاً ... ببذلِ أكُفٍّ دونَها المُزْنُ والبحرُ
فلو لامَسَ الصخرُ الاصمُّ أكُفَّهم ... افاضَ(٣ينابيعَ الندى ذلكَ الصخرُ
سَمَوا في المعالي رتبةً فوق رتبةٍ ... احلَّتْهمُ حيثُ النعائمُ والنَّسْرُ
افادت لهم احسابُهم فتضاءلَتْ ... لنورهمُ الشمسُ المُنيرةُ والبدرُ
ولو كانَ في الارضِ البَسيطةِ منهمُ(٤ ... لمختبطٍ عافٍ لَما عُرِفَ الفقرُ
شكرتُ لكم آلاءَكم(٥ وبلاءَكم ... وماضاعَ معروفٌ يكافئُهُ الشكرُ

وجاء لابي زيد في نوادره (ص ٥٣) : قال جُحيّة بن مضرّب الكنديّ وزعم المفضّل انهُ بلغ بعض الملوك عن جحيّة شيءٌ فبلغ ذلك جحيّة فقال (من الطويل) :

ان كان ما بُلِّغْتَ عنّي فلامني ... صديقي وحُزْتُ(٦ من يَدَيَّ الانامِلُ
وكُنْتُ وَحدي مُنْذِراً في ثيابهِ(٧ ... وصادفَ حوطاً من اعادِيَّ قاتلُ

قال ابو زيد : منذر اخوهُ وحَوْط ابنهُ . وقولهُ في ثيابه اي لا احد لهُ كنتاً غيرها . وهذان البيتان رواهما ابو تمّام في حماسته (١ : ٦٨–٦٩) لَمْدان بن حوّاس الكندي

(له تابع)

---

١) وفي الحماسة البصريّة : بعفر ٢) ويروى : واوجههم زُهْرُ ٤) ويروى : لفاضت ٥) ويروى : سابهم ٦) ويروى : معروفكم ٧) ويروى : وتلّت ٧) ويروى : في ردائه